القسم الثالث

فى نوادر حاتم الطائى

حاتم فى صغره

كان حاتم من شعراء العرب وكان جواداً يشبهُ شعره جوده ويصدق قولهُ فعلهُ، وكان حيثما نزل عرف منزلهُ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح فاز وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق وكان يقسم بالله أن لا يقتل وحيد أمه، وكان إذا أهل الشهر الأصم الذى كانت مضر تعظمهُ فى الجاهلية ينحر فى كل يوم عشراً من الإبل فيطعم الناس ويجتمعون إليه، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحطيئة وبشر بن أبى خازم، فذكروا أن أم حاتم أُتيت وهى حبلى بالمنام فقيل لها: أغلام سمح يقال لهُ حاتم أحب إليك أم عشرة غلمة كالناس، ليوث ساعة الباس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس، فقالت: حاتم، فولدت حاتمًا، فلما ترعرع جعل يخرج أمامهُ فإن وجد من يأكلُ معهُ أكل وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه أنهُ يهلك طعامهُ قال لهُ الحق بالإبل، فخرج إليها، ووهب لهُ جارية وفرسًا وفلوها، فلما أتى الإبل طفق يبغى الناس فلا يجدهم ويأتى الطريق فلا يجد عليه أحدًا، فبينما هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم، فقالوا يا فتى هل من قرى، فقال تسألونى عن القرى وقد ترون الإبل، وكان الذين بصر بهم ابن الأبرص وبشر بن أبى خازم والنابغة الذبيانى وكانوا يريدون النعمان فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عبيد إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفينا بكرة إذا كنت لا بد متكلفًا لنا شيئًا، فقال حاتم قد عرفت ولكن رأيت وجوهًا مختلفة وألوانًا متفرقة فظننت أن البلدان غير واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى إلى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكروا فضلهُ، فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل

علىَّ وأنا أعاهد الله فأضرب عراقيب إبلى عن آخرها وتقدموا إليها فتقتسموها، ففعلوا فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ومضوا على سفرهم إلى النعمان، وإن أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال لهُ أين الإبل، فقال يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة لجيد الدهر وكرمًا لا يزال الرجل يحملهُ ببيت شعر أثنى به علينا عوضًا عن إبلك، فلما سمع أبوه ذلك قال: والله لا أساكنك أبدًا فخرج أبوه بأهلهِ وتركهُ هائمًا ومعهُ جاريتهُ وفرسهُ وفلوها، فقال يذكر تحوّل أبيه عنهُ:

وإنى لعف الفقر مشترك الغنى
وتارك شكل لا يوافقهُ شكلى
وأجعل مالى دون عرضى جنة
لنفسى وأستفتى بما كان من فضلى
وما ضرَّنى أن سار سعد بأهله
وأفردنى فى الدار ليس معى أهلى
سيكفى ابتناى المجد سعد بن حشرج
وأحمل عنكم كل ما حلَّ من أزلى
ولى مع بذلِ المال فى المجد صولة
إذا الحرب أبدت عن نواجذها العضل
وما من لئيم عالهُ الدهر مرةً
فيذكرها إلا استحال إلى البخل

* * *

كرم حاتم

أغار قومٌ على طىء فركب حاتم فرسهُ وأخذ رمحهُ ونادى فى جيشه وأهل عشيرتهِ ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال لهُ كبيرهم: يا حاتم هبنى رمحك فرمى به إليهِ، فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك، فقال: قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لى.

مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة

خرج الحكم بن أبى العاصى ومعهُ عطر يريد الحيرة، وكانَ بالحيرة سوقٌ يجتمع إليه الناس كل سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبنى لام بن عمر ربع الطريق طعمة لهم وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا صهاره فمرَّ الحكم بن أبى العاصى بحاتم بن عبد الله فسألهُ الجوار فى أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة فأجاره ثم أمر حاتم بجزورٍ فنحرت وطبخت فأكلوا ومع حاتم سلمان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمهِ، فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبهِ ذلك، فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بنى أبيهِ غير سلمان وحاتم على راحلتهِ وفرسهُ تقاد، فأتاه بنو لام فوضع حاتم سفرتهُ وقال: اطعموا حياكم الله، فقالوا من هؤلاء معك يا حاتم، قال هؤلاء جيرانى قال لهُ سعد فأنت تجير علينا فى بلادنا، قال لهُ أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمتهُ، فقالوا: لست هذاك، وأرادوا أن يفضحوهُ كما فضح عامر بن جوين قبلهُ فوثبوا إليه فتناول سعد بن حارثة بن لام حاتمًا، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفهِ ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم فى ذلك:

وددتُ وبيت الله لو أن أنفهُ هواء فما متَّ المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمهِ فآب ومرَّ السيف منهُ على الخطم

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوقَ الحيرة فنماجدك ونضع الرهن، ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس رهنًا على يد رجل من كلب يقال لهُ امرؤ القيس بن عدى ووضع حاتم فرسهُ، ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع ذلك إياس بن قبيصة الطائى فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بمالهِ وسلطانهِ المصهر الذى بينهم وبينهُ فجمع إياس رهطهُ من بنى حية وقال: يا بنى حية إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم فى مماجدته، فقال رجل من بنى حية: عندى مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء وقام آخر فقال: عندى عشرة أحصنة على كل حصان منهم فارس مدجج لا يرى منهُ

إلاَّ عيناه، وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمتم إن أبى قد مات وترك كلاءً كثيرًا فعلىَّ كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا فى سوق الحيرة، ثم قام إياس فقال: علىَّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم، كل ذلك وحاتم لا يعلم شيئًا مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ابن عم لهُ بالحيرة كان كثير المال فقال: يا ابن العمّ أعنى على مفاخرتى ثم أنشد:

يا مال إحدى خطوب الدهر قد طرقت
يا مـــال مـا أنتم عنها بزحزاح
يا مـال جـاءت حياض الموت واردة
من بين عمر فخضنـاه وضحضـاح

فقال لهُ مالك: ما كنت لأخرب نفسى ولا عيالى وأعطيك مالى، فانصرف عنهُ وأتى ابن عمٍّ له يقال لهُ وهم بن عمرو وكان حاتم يومئذ معادٍ لهُ لا يكلمهُ فقالت لهُ امرأته: أىْ وهْم هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع، فقال ما لنا ولحاتم أثبتى النظر، فقالت ها هو، قال ويحك هو لا يكلمنى فما جاءَ بهِ إلىّ، فنزل حاتم فسلم عليهِ، فرد سلامه وحياه ثم قال له: ما جاءَ بك يا حاتم، قال خاطرت على حسبك وحسبى، قال فى الرحب والسعة هذا مالى (وكانت عدته يومئذ تسعمائة بعير) فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد، فقالت امرأته: يا حاتم أنت تخرجنا عن مالنا وتفضح صاحبنا تعنى زوجها، فقال اذهبى عنى فوالله ما كان الذى غمك ليردنى عما قصدت، وقال حاتم:

ألا أبلغا وهمَ بن عمرو رسالةً فإنك أنت المرء بالخير أجدرُ
رأيتك أوفى الناس منا قرابةً وغيرك منهم كنت أحبو وأنصرُ
إذا مـا أتى يومٌ يفرق بيننا بموتٍ فكن يا وهـم من يتـأخرُ

ثم قال إياس بن قبيصة: احملونى إلى الملك، وكان بهِ نقرس، فحمل حتى أدخل عليهِ، فقال: أنعم صباحًا أبيت اللعن، فقال النعمان: وحياك إلهك، فقال إياس أتمد أختانك بالمال والخيل وتجعل بنى ثعل فى قعر الكنانة، أظنَّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولا يشعروا أن

بنى حية بالبلد، فإن شئتَ والله ناجزناك حتى يطفح الوادى دمًا، فليحضروا مماجدهم (مفاخرتهم) غدًا بجمع العرب، فعرف النعمان الغضب فى وجهه وكلامه فقال له يا أحلمنا لا تغضب فإنى سأكفيك، وأرسل النعمان إلى سعْد ابن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمكم حاتمًا فأرضوه، فوالله ما أنا بالذى أعطيكم مالى تبذرونه وما أطيق بنى حية، فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا، قال لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويقلب مجادكم، فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا: قبحها الله وأبعدها فإنما هى مقارف، فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم فى ذلك:

أبلغ بنى لام بأن خيولهم ... عقرى وإن مجادهم لم يمجدِ
ها إنما مطرت سماؤكم دمًا ... ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
ليكون جيرانى أكالى بينكم ... نجلاً لكندىٍّ وسبى مزبد
وابن النجود إذا غدا متلاظمًا ... وابن العذوَّر ذى العجان الأبرد
ولثابت عينى جدا متماوت ... وللفظ أوسىّ عوى لمقلد
أبلغ بنى ثعل بأنى لم أكن ... أبدًا لأفعلها طوال المسند
لا جئتهم فلاً وأترك صحبتى ... نهبًا ولم تغدر بقائمة يدى

* * *

ملك الروم وحاتم الطائى

من أعجب ما حكى عن حاتم الطائى أن أحد قياصرة الروم بلغتهُ أخبار حاتم فاستغرب ذلك، وكان قد بلغهُ أن لحاتم فرسًا من كرام الخيل عزيزة عنده فأرسل إليه بعض حجابه يطلب منهُ الفرس هديةً إليه وهو يريد أن يمتحن سماحتهُ بذلك، فلما دخل الحاجب دار طىء سأل عن أبيات حاتم حتى دخل عليه، فاستقبلهُ ورحب به وهو لا يعلم أنهُ حاجب الملك، وكانت المواشى حينئذٍ فى المراعى فلم يجد إليها سبيلاً لقرى ضيفه فنحر الفرس وأضرم النار، ثم دخل إلى ضيفه يحادثهُ فأعلمهُ أنهُ رسول قيصر وقد حضر

يستميح الفرس، فساءَ ذلك حاتمًا وقال: هلاَّ أعلمتنى قبل الآن فإنى قد نحرتها لك إذ لم أجد جزورًا غيرها بين يدى، فعجب الرسول من سخائه وقال: والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا.

* * *

حاتم وامرأتهُ ماوية

قيل: إن حاتمًا الطائى لما كان متروجًا بماوية بنت عفير كانت تلومهُ كثيرًا على إتلاف المال فلا يلتفت إلى قولها ولا يكترث بهِ وكان لها ابن عم يقال لهُ مالك فقال لها يومًا ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالاً ليتلفنهُ وإن لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك، فقالت ماوية صدقت إنهُ كذلك، وكنَّ يطلقن الرجال فى الجاهلية، وذلك أن يقمن ضمن بيت من شعر فإن كان باب البيت من قبل المشرق حولتهُ إلى المغرب وإن كان من قبل المغرب حولتهُ إلى المشرق وإن كان من قبل اليمن حولتهُ إلى الشام وإن كان من قبل الشام حولتهُ إلى اليمن، فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقتهُ فلم يأتها، ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتمًا وأنا أتزوجك فإنى خير لك منهُ وأكثر مالاً وأقل تبذيرًا فلم يزل بها حتى طلقتهُ فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء، فقال حاتم لولده يا عدى أترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك، فأخذ ابنهُ وهبط بطن وادٍ فنزل فيهِ فجاءَ قومٌ فنزلوا على باب الخباءِ كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسًا فضاقت بهم ماوية ذرعًا وقالت لجاريتها: اذهبى إلى ابن عمى وقولى لهُ: إن أضيافًا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً فأرسل لنا بشيءٍ نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى إلى جبينه وفمه فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منهُ وإن ضرب بلحيتهِ على زورهِ ولطم رأسهُ فأقبلى ودعيه، فلما أتتهُ وجدتهُ متوسدًا وطبًا من لبنٍ فأيقظتهُ وأبلغتهُ الرسالة وقالت لهُ: إنما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم، فلطم رأسهُ بيده وضرب بلحيتهِ وقال أقرئيها السلام وقولى لها: هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتمًا لأجلهِ وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم،

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وما قال لها، فقالت لها: اذهبى إلى حاتم وقولى لهُ إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل إلينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم، فأتت الجارية حاتمًا فصاحت به فقال لبيك ماذا تريدين، فأخبرتهُ بما جاءَت بسببهِ، فقال لها حبًا وكرامة ثم قام إلى الإبل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح: هذا الذى طلقتك بسببهِ تترك أولادنا وليس لهم شىء، فقال لها ويحك يا ماوية الذى خلقهم وخلق العالم بأسرهِ متكفلٌ بأرزاقهم.

* * *

جود حاتم الطائى

قالت نوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبرَّ أفق السماء، وضرب الجوع أطنابهُ حتى بتنا بالهلاك، فبقينا الليل على هذا الحال والموت يتهددنا ويتهدد أولادنا عبد الله وعديًا وسنانة، فقام حاتم إلى الولدين وقمت أنا إلى الابنة وما سكتوا إلاَّ بعد هدأة من الليل، وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت، فلما اسود الدجى إذا بصوت قد سمع ويد حركت الباب، فقال من هذا، قالت جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون كالذئاب فما وجدت سندًا سواك يا أبا عدىّ، فقال علىَّ بهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى وراءها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسهِ فنحره، ثم كشط عن جلده ودفع المدية إلى المرأة وقال لها: شأنك، فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل، ثم جعل يمشى فى الحى يأتيهم بيتًا بيتًا فيقول: هبوا أيها القوم عليكم بالنار، فاجتمعوا والتفع فى ثوبهِ متنحيًا ينظر إلينا بدون أن يذوق طعامًا هو أحوج إليهِ منا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلاَّ عظمٌ وحافر، فأنشأ حاتم يقول:

مهلاً نوارُ أقلى اللوم والعذلاَ
ولا تقولى لشىءٍ فات ما فعلاَ

ولا تقولى لمالٍ كنت مهلكهُ
مهلاً وإن كنت أعطى الإنس والجبلاَ
يرى البخيلُ سبيل المال واحدةً
إنَّ الجوادَ يرى فى ماله سبلاَ

ولحاتم الطائى وقد استنشدتهُ ماوية:

أماويَّ قد طال التجنب والهجرُ
وقد غدرتنى من طلابكم العذرُ
أماوى إن المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ
أماوى إنى لا أقول لسائلٍ
إذا جاءَ يومًا حلَّ فى مالنا نذرُ
أماوى إما مانعٌ فمبينٌ
وإما عطاءٌ لا ينهنهُ الزجرُ
أماوى ما يغنى الثراءُ عن الفتى
إذا حشرجت نفسٌ وضاق بها الصدرُ

ومنها:

أماوى إن يصبح حداى بقفرةٍ ... من الأرض لا ماء هناك ولا خمرُ
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرَّنى ... وأن يدى مما بخلتُ به صفرُ
أماوى إنى ربَّ واحد أمه ... أحيرت فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا ... أراد ثراءَ المال كانَ لهُ وفرُ
وإنى لا آلو بمالٍ صنيعةً ... فأولهُ زادٌ وآخره ذخرُ
يفكُّ به العانى ويؤكل طيبًا ... وما إن تعريه القداح ولا الخمرُ
ولا أظلم ابن العمّ إن كان إخوتى ... شهوداً وقد أودى بإخوته الدهرُ
عنينا زمانًا بالتصعلك والغنى ... كما الدهر فى أيامه العسرُ واليسرُ
كسبنا صروف الدهر لينًا وغلظةً ... وكلاً سقاناه بكأسهما الدهرُ
فما زادنا بغيًا على ذى قرابةٍ ... غنانا ولا أدى بإحساننا الفقرُ

فقدمًا عصيت العاذلاتُ وسلطت ... على مصطفى مالى أناملىَ العشرُ
وما ضرَّ جارًا يا ابنة العم فاعلمى ... يجاورنى ألاَّ يكون لهُ ستـرُ
بعينىَّ عن جاراتِ قولى غفلةٌ ... وفى السمع منى عن حديثهم وقرُ

وقال أحدهم فى حاتم:

وحاتم طىءٍ إن طوى الموت جسمهُ ... فنشرُ اسمِه فى الجود عاش مخلدا

وقال آخر:

لما سألتك شيئًا ... بدلت رشدًا بغىٍّ
ممن تعلمت هذا ... ألا تجود بشىٍّ
أما مررت بعبد ... لعبدِ حاتم طَىٍّ

وصادف ابن الكلبى حاتمًا فأنشدهُ:

وعاذلةٍ هبت بليل تلومنى ... وقد غاب عبوق الثريا فغرَّدا
تلوم علىَّ إعطائى المال ضلة ... إذا ضلَّ بالمال البخيل وصردا
تقول ألا أمسك عليك فإننى ... أرى المال عند الممسكين معبدًا
ذرينى وشأنى إن مالك وافرٌ ... وكل امرئٍ جارٍ على ما تعودا
أعاذل لا آلوك إلاَّ خليقتى ... فلا تجعلى فوقى لسانك مبردا
ذرينى يكن مالى لعرضى جنة ... يقى المال عرضى قبل أن يتبددا
أرينى جوادًا مات هزلاً لعلنى ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا
وإلاَّ فكفى بعض قولك واجعلى ... إلى رأى من تلحين رأيك مسندا
ألم تعلمى أنى إذا الضيف نابنى ... وعزَّ القرى أقرى السديف المرهدا
أسوِّدُ سادات العشيرة عارفًا ... ومن دون قومى فى الشدائد مذودا
وألفى لأعراض العشيرة حافظًا ... وحقهم حتى أكونَ المسوَّدا
يقولون لى أهلكت مالك فاقتصد ... وما كنت لولا تقولهن سيدا
كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا ... فإن على الرحمن رزقكمُ غدا
سأذخرُ من مالى دلاصًا وسابحًا ... وأسمرَ خطيًا وعضبًا مهندا
وذلك يكفينى من المال كلهِ ... مصونًا إذا ما كان عندى متلدا

وأنشده أيضًا:

ألا سبيلٌ إلى مالٍ يعارضنى كما يعارض ماءَ الأبطح الجارى
ألا أعان على جودى بميسرةٍ فلا يردُّ لدى كفىَّ أقتارى

وأنشده أيضًا:

أما والذى لا يعلم الغيب غيره
ويحيى العظام البيض وهى رميمُ
لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهى
مخافة يومًا أن يقال لئيمُ
وما كان بى ما كان والليل ملبسٌ
رواق لهُ فوق الأكام بهيمُ
ألفُّ مجلسى الزاد من دون صحبتى
وقد آب نجمٌ واستقل نجومُ

وأنشدهُ أيضًا:

وقائلة أهلكت بالجودِ مالنا ونفسك حتى ضرَّ نفسك جودها
فقلت دعينى إنما تلك عادتى لكلِّ كريم عادةٌ يستعيدها

وأنشد حاتمٌ يخاطب امرأتهُ ماوية بنت عبد الله:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالكٍ
ويا ابنةَ ذى البردين والفرس الوردى
إذا ما صنعت الزادَ فالتمسى لهُ
أكيلاً فإنى لستُ آكلهُ وحدى
أخًا طارقًا أو جارَ بيتٍ فإننى
أخاف مذمَّات الأحاديث من بعدى
وإنى لعبدُ الضيفِ ما زال ثاويًا
وما فىَّ إلاَّ تلك من شيمة العبدِ

* * *

يزيد بن حاتم وربيعة الرأى

قيل: إن ربيعة الرأى قدم مصر فأتى يزيد السلمى فلم يعطه شيئًا ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنهُ لأمرٍ ضرورى فخرج وهو يقول:

أرانى ولا كفران للهِ راجعًا بخفّى حنينٍ من نوال ابن حاتم

فلما فرغ ابن حاتم من ضرورته سأل عنهُ فقيل لهُ: إنهُ خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فأرسل من يجد فى طلبه فأتى به فقال كيف قلت فأنشد البيت فقال يزيد: شغلنا عنك وعجلت علينا ثم أمر بخفيهِ فخلعا من رجلهِ وملئا مالاً وقال: ارجع بهما بدلاً من خفى حنين.

* * *

مديح حاتم بعد الوفاة

خرج إليه رجل من الشعراءِ يمدحهُ فلما بلغ مصر وجده قد مات فقال فيهِ:

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى وأخلفنى منهـا الذى كنت آمـلُ
فما كل مـا يخشى الفتى بمصيبةٍ ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
وما كان بينى لو لقيتك سالمًا وبين الغنى إلاَّ ليـالٍ قلائل

* * *

حاتم الطائى بعد الوفاة

يحكى عن حاتم الطائى أنهُ لما مات دفن فى رأس جبل وعملوا على قبره حوضين من حجرين ورسوم بنات محلولات الشعور من حجر، وكان تحت ذلك الجبل نهر جارٍ، فإذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ فى الليل من العشاءِ إلى الصباح، فإذا أصبحوا لم يجدوا أحدًا غير البنات المصورة من الحجر.

فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادى خارجًا عن عشيرتهِ بات

تلك الليلة هناك، وتقرَّب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال: ما هذا العويل الذى فوق هذا الجبل فقالوا لهُ: إن هذا قبر حاتم الطائى وإن عليهِ حوضين من حجر ورسوم بنات من حجر محلولات الشعور، وكل ليلة يسمع النازلون فى هذا المكان هذا العويل والصراخ، فقال ذو الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائى: يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص، (قال) فغلب عليهِ النوم، ثم استيقظ وهو مرعوب وقال: يا عرب الحقونى وأدركوا راحلتى، فلما جاءُوا وجدوا الناقة تضطرب فذبحوها وشووا لحمها وأكلوا، ثم سألوه عن سبب ذلك فقال: غفلت عينى فرأيت فى منامى حاتم الطائى وقد جاءَنى بسيف وقال: جئتنا ولم يكن عندنا شيءٌ، وضرب ناقتى بالسيف، فلو لم تحصلوها وتنحروها لماتت، فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابهِ وأردفهُ خلفهُ، فلما كانوا وسط النهار رأوا راكبًا على راحلةٍ وفى يده راحلة أخرى، فقالوا لهُ من أنت، فقال أنا عدى ابن حاتم الطائى، ثم قال أين ذو الكراع أمير حمير، فقالوا لهُ هذا هو، فقال: اركب هذه الناقة عوضًا عن راحلتك فإن ناقتك قد ذبحها أبى لك، قال ومن أخبرك، قال أتانى الليلة فى المنام وقال لى: يا عدى إن ذا الكراع ملك حمير استضافنى فنحرت لهُ ناقتهُ فأدركهُ بناقة يركبها فإنى لم يكن عندى شيء، فأخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حيًا وميتًا.

* * *